

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِحْوَةٌ الْإِيمَانِ وَالْعَقِيدَةِ ... لَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ، أَنَّ فِي شَهْرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ حَصَلَ حَدَثَانِ عَظِيمَانِ، مِنْ أَعْظَمِ الْأَحْدَاثِ فِي التَّارِيخِ الَّتِي غَيَّرَتْ مَسَارَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، فَكَانَ الْحَدَثُ الْأَوَّلُ وَوَلَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ عَشْنَا لِحَظَاتِهَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ، وَأَمَّا الْحَدَثُ الْآخِرُ فَكَانَتْ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ، وَرِزِيَّةٌ كُبْرَى وَإِنْ تَعَدَّدَتْ الْمَصَائِبُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ - فَسَتَبْقَى مَحْفُورَةٌ فِي سِجْلِ مَصَائِبِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنَّهَا مُصِيبَةٌ الْمُسْلِمِينَ بِفَقْدِهِمْ نَبِيَّهُمْ ﷺ.

لَقَدْ وَدَّعَ الْمُصْطَفَى ﷺ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ، إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى. فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ زَارَ الْمَرَضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَهُ صُدَاعٌ فِي رَأْسِهِ، وَاتَّقَدَّتْ عَلَيْهِ الْحَرَارَةُ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْحُمَّى مِنْ آثَارِ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ عَلَى يَدِ الْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَّةِ.

فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ وَقَبْلَ وَفَاتِهِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ، اشْتَدَّ بِهِ الْوَجَعُ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَهُوَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَالْعَبَّاسِ

عَاصِبًا رَأْسَهُ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الصَّحَابَةُ  
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ قَدْ هَدَّهُ الْإِعْيَاءُ وَالْمَرَضُ، يَنْظُرُونَ  
إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَحْيَا قُلُوبَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ  
إِلَى النُّورِ. فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ ﷺ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ  
وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي وَثَنًا  
يُعْبَدُ) ثُمَّ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْقِصَاصِ فَقَالَ (مَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ  
ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي فَلَيْسَتْ قِدْمِنُهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عَرَضًا  
فَهَذَا عَرَضِي فَلَيْسَتْ قِدْمِنُهُ) ثُمَّ قَالَ (إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ  
مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ) فَبَكَى  
أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ يَا أَبَانَا وَأُمَّهَاتِنَا. بَكَى  
الصِّدِّيقُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِمَقَاصِدِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
فَفَهِمَ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْإِشَارَةِ.

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ .. أَعْتَقَ النَّبِيُّ ﷺ غِلْمَانَهُ، وَتَصَدَّقَ بِسَبْعَةِ دَنَانِيرَ  
كَانَتْ مَوْجُودَةً عِنْدَهُ، وَوَهَبَ أَسْلِحَتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ.

ثم بزغ فجر يوم الإثنين آخر يوم من حياته ﷺ وبينما الصَّحْبُ  
الكَرَامُ صُفُوفًا خَلْفَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، إِذْ بَرَسُوا  
اللَّهُ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَةَ حُجْرَتِهِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَبَسَّمَ  
يَضْحَكُ كَأَنَّ وَجْهَهُ الْقَمَرُ، فَلَمَّا رَأَهُ الْمُسْلِمُونَ هَمُّوا أَنْ يُفْتَنُوا  
فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنْ أَمُّوا  
صَلَاتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرخَى السِّتْرَ.

فَاطَمَأَنَّتْ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ، وَظَنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَادَ إِلَى  
صِحَّتِهِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ هِيَ النَّظْرَةُ الْأَخِيرَةُ، نَظْرَةُ  
الْوَدَاعِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الْحُجْرَةِ أَبَدًا.

وَلَمَّا ارْتَفَعَ الضُّحَى دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ  
فَاطِمَةَ وَابْنَيْهَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَأَوْصَى بِهِمَا خَيْرًا، وَدَعَا أَزْوَاجَهُ  
فَوَعَّظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ، ثُمَّ بَدَأَ الْوَجْعُ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ  
يُصَارِعُ هَذِهِ الْكُرْبَ أَرَادَ أَنْ يُوصِيَ أُمَّتَهُ بِأَهَمِّ وَصِيَّةٍ وَأَعْظَمِ أَمْرٍ  
فِي هَذَا الدِّينِ، فَأَخَذَ يُنَادِي بِصَوْتٍ مُنْكَسِرٍ قَدْ هَدَّهَ الْمَرَضُ

(الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ! الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ! الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ).

وَأَسْنَدَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حِجْرِهَا، ثُمَّ بَدَأَ الْإِحْتِضَارُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ ﷺ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي رُكُوعٍ فِيهَا مَاءٌ فَيَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكْرَاتٍ! اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيَّ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ) وَحَانَ الْفِرَاقُ وَالْوَدَاعُ، فَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ النَّزْعُ فَعَرِقَ جَبِينُهُ، وَظَهَرَ أُنَيْنُهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَحَشَرَ صَدْرُهُ، حَتَّى بَكَى لِمَصْرَعِهِ مَنْ حَضَرَهُ، ثُمَّ رَفَعَ أَصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ، وَشَخَصَ بَصَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ، يَقُولُ ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ مَالَتْ يَدُهُ. فَأَكَبَتْ عَلَيْهِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ وَأَخَذَتْ تُنَادِي بِحَسْرَةٍ وَأَلَمٍ: يَا أَبَتَاهُ! أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ!

جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ! إِلَى جَبْرِيلَ نُنْعَاهُ.

مَاتَ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ، مَاتَ رَسُولُ الْهُدَى الشَّفِيقُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ،  
وَتَسَرَّبَ النَّبَأُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَقَفَ الصَّحَابَةُ فِي مَوْقِفِ عَصِيبٍ،  
وَمَا إِنْ سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخَبَرَ حَتَّى جَاءَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَرَأَى  
اضْطِرَابَ النَّاسِ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَرَأَى  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغَطَّى بِثَوْبٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ  
وَقَبَّلَهُ وَبَكَى وَقَالَ: طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ فَتَكَلَّمَ، تَكَلَّمَ رَجُلٌ السَّاعَةَ فَقَالَ:  
أَمَّا بَعْدُ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ  
كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ  
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى  
أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي  
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ \* وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا

مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ  
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ هَذِهِ الآيَةَ سَقَطَ  
عَلَى الأَرْضِ حَتَّى مَا حَمَلَتْهُ رِجْلُهُ، وَتَيَقَّنَ النَّاسُ الخَبَرَ فَضَجُّوا  
بِالبُكَاءِ وَارْتَفَعَتِ الأصْوَاتُ، وَصَدَقَ اللهُ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ  
مَيِّتُونَ﴾.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ  
المُرْسَلِينَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ العَظِيمَ.

الحَمْدُ لله وَكَفَى، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عِبْدِهِ المُصْطَفَى، وَعَلَى  
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اجْتَبَى.

مَعَاشِرُ المُؤْمِنِينَ .. قَالَ أَنَسٌ: لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ  
رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ  
الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا فَرَعْنَا مِنْ دَفْنِهِ

حَتَّىٰ أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا. قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ  
أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ؟!  
مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ أَعْظَمَ مُصِيبَةٍ حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَنْ  
يُصَابَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهَا بِمِثْلِهَا، قَالَ ﷺ (إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ  
بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ).

هَذَا هُوَ نَبِيُّكُمْ ﷺ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَاخْتَارَهُ  
عَلَى خَلْقِهِ، وَكَرَّمَهُ وَجَمَّلَهُ وَقَرَّبَهُ وَأَرْسَلَهُ لِلْبَشَرِ كَافَّةً، عَاشَ ﷺ  
حَيَاتَهُ يَمْشِي عَلَى الشُّوكِ وَيُؤْذِي فِي اللَّهِ وَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
حَتَّىٰ آخِرِ عُمُرِهِ، طُرِدَ مِنْ مَكَّةَ فَأَقَامَ دَوْلَةَ، حُورِبَ فِي الْمَدِينَةِ  
فَصَبَرَ حَتَّىٰ اسْتَقَامَتْ لِلْمُسْلِمِينَ حَيَاتُهُمْ، وَمَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا  
وَضَحَّه وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ.

هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ الَّذِي بَدَلَ كُلَّ نَفْسٍ مِنْ أَجْلِ إِيصَالِ الدِّينِ  
وَتَعْلِيمِ الْبَشَرِيَّةِ، ثَبَتَ بِبِقِينِهِ حِينَ فَرَّ النَّاسُ، وَوَثَقَ بِرَبِّهِ حِينَ ظَنَّ  
الْمُنَافِقُونَ أَنَّهَا النِّهَايَةُ ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

هَذَا نَبِيِّكُمْ ﷺ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَنُصْرَتِهِ  
وَالسَّيْرِ عَلَى نَهْجِهِ؛ مَحَبَّتُهُ أَصْلُ الْإِيمَانِ، وَتَقْدِيمُ أَوْامِرِهِ مِنْ أُسُسِ  
الْإِسْلَامِ.

فَهَلْ نَحْنُ نَحِبُ النَّبِيَّ ﷺ! هَلْ نَحْنُ نَتَّبِعُ سُنَّتَهُ وَنَقْتَفِي آثَارَهُ  
وَنَتَشَبَّهُ بِهِ فِي أَخْلَاقِهِ وَسِيرَتِهِ!!

فَاللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا تَقْصِيرَنَا وَتَفْرِيطَنَا وَجَهْلَنَا. نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ  
يُؤَفِّقَنَا لِاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ وَالسَّيْرِ عَلَى هَدْيِهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.  
صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةً  
وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.